الفيلسوف بيير بابيل وأثره في الفكر الفرنسي

الكلمات المفتاحية: الفيسلوف، بابيل، الفكر الفرنسي

م.م. عمر رزاق حمود
جامعة الانبار – كلية الآداب – قسم التاريخ
omer.razzaq88@uoanbar.edu.iq

الملخص

يعد عصر النهضة في القارة الأوربية واحداً من العصور التي مرت بها أوربا آنذاك وعدت نقطة تحول من العصر الوسيط المظلم إلى العصر الحديث حيث شهد فيه المجتمع الأوربي تحولاً عاماً شمل جميع نواحي المجتمع الأوربي منها الثقافية والدينية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ولاشك أن هذا التحول الكبير جاء عقب ما مرت به القارة الأوربية بالكثير من المشاكل والإحداث وأيضا استفادة الأوربيين من الحضارات القديمة (اليونانية والرومانية) فضلاً عن تأثير الحضارة الاسلامية التي كان لها الدور الكبير في التأثير بالمجتمع الأوربي فكان لهذا التأثير الواسع أن أنتج الكثير من النظريات السياسية والأفكار الإصلاحية والتجارب العلمية والمدارس التاريخية وتطور الأدب والفن والثقافة ونمت اللغات القومية وتبلورت الدول الحديثة وشقت حركة الإصلاح الديني طريقها والكشف بشكل واضح عن دورها ، ومن هنا ظهر لنا العديد من الفلاسفة الأوربيين الذين أسهموا بشكل واضح في زيادة الوعي والرقي للمجتمع والإنسان ولعل من أبرز هؤلاء الفيلسوف الفرنسي بير بابيل وأثره في الفكر الفرنسي من خلال كتاباته الفلسفية وآراءه الفكرية.

المقدمة : Introduction

كان للتطورات الكبيرة التي عاشتها القارة الأوربية آنذاك نتائج اجابية ولعل من أبرز تلك النتائج الإيجابية هي الثورة الصناعية وما لعبته من دورٍ واضحٍ هذا فضلاً عن التحول السياسي والمتمثل بظهور الإمبراطوريات الأوربية الاستعمارية والتي لعبت دوراً مهماً في التحكم بالكثير من القرارات الدولية وهو ما يعني تحكمها بكل أحداث العالم وعلاوةٍ على ذلك أختار فلاسفة القارة الأوربية آنذاك أن يعبروا عن أفكارهم وفلسفاتهم وتأثيرهم بالمجتمع الأوربي من خلال الرسائل والحوارات ، والقصائد والمسرحيات ، والكتابات الكثيرة ، فضلاً عن الآراء وتعدد الأفكار ، والثقافات فكان لذلك تأثيره الواضح في المجتمع الأوربي الذي تخلص من

القيود الثقيلة وصار إطاراً للبرهنة على الأفكار الكثيرة والثقافات المتعددة كل ذلك أدى إلى حركة نهضوية كبرى في قارة أوربا زلزلت عرش المجتمع الإقطاعي والكنسي لتنقله إلى بداية عصرٍ جديد تمثل بعصر النهضة وظهور الفلاسفة الأوربيين ودورهم الواضح وتأثيرهم الفعال في المجتمع الأوربي آنذاك ولعل من أهم هؤلاء الفلاسفة هو الفيلسوف الفرنسي بير بايل وتأثيره على المجتمع الأوربي بصوره عامة والفرنسي بصورة خاصة من خلال فلسفته الشهيرة (الشكية) وكتبه الفلسفية الأخرى التي كان لها التأثير الكبير في الفكر الفرنسي آنذاك وهو ما سيكون محور بحثنا هذا .

مشكلة البحث :Research problem

- هل كانت أوربا تُعاني من أوضاع صعبه قبل مجيء عصر النهضة؟
- هل استطاع بير بايل أن يؤثر فعلاً من خلال أفكاره وفلسفته بالمجتمعات الأوربية عامة والمجتمع الفرنسي على وجه الخصوص ؟

فرضية البحث: Research Hypothesis

نعم كانت أوربا تُعاني من أزمات عديدة وخانقة وأوضاع صعبة عاشتها خلال الفترة التي سبقت عصر النهضة وما أن جاء ذلك العصر حتى عد إيذاناً بمجموعة من التحولات التي طرأت على المجتمع الأوربي في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية .

استطاع المفكر والفيلسوف الفرنسي بير بايل من أن يؤثر في المجتمع الفرنسي التأثير الواضح من خلال أفكاره وفلسفته التي بينها في كتبه العديدة وكتاباته الفكرية والثقافية التي روج لها أو من خلال محاضراته التي القاها ولم يكن في ذاك العصر أي مكان آخر في العالم جديراً بأن يكون العاصمة الفكرية والثقافية ، غير تلك المدينة الفرنسية باريس ، فلقد جمع فيها من خلال جهوده بين المكانه الموقوفة شرحاً على القوة ، وبين الأسلوب والفطنة والأفكار ، ووفرت المؤسسات الثقافية (الصالونات

والأكاديميات) وأحاطتها بأجواء دولية ، وبذلك أصبحت باريس تنتمي للعالم وليس لفرنسا وحدها .

أهمية البحث :research importance

يسلط البحث الضوء على موضوعٍ مهم وهو الفيلسوف الفرنسي بيير باييل وأثره في الفكر الفرنسي آنذاك من خلال فلسفته الشهيرة (الشكية) وكتبه الفلسفية الأخرى التي كان لها التأثير الكبير في فرنسا آنذاك وظهور مبادئ سياسية واجتماعية جديدة رافق ذلك معالجته للكثير من قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والفلسفية ولهذا عد من أبرز المفكرين والفلاسفة الذين لمع نجمهم في تلك الفترة ، وهو ما سيكون محور بحثنا هذا .

حدود البحث : search limits

تم تقسيم البحث إلى مبحثين وخاتمة : تضمن الأول عن عصر النهضة مع ذكر أهم العوامل التي ساهمت في قيامة ، أما المبحث الثاني فقد سلط فيه الضوء على أحد أهم المفكرين الأوربيين وهو بيير باييل وأهم ما تضمنته فلسفته وأفكاره في أوروبا آنذاك وتأثيرها في الفكر الفرنسي ، في حين جاءت الخاتمة باستنتاج واضح أن عصر بيير باييل كان واحداً من أهم الفترات المهمة التي مرت بها فرنسا أذ حشدت خلال تلك الفترة العديد من المواهب في نقطة متوهجة في باريس وحولها ودعم الملك المتواصل لتلك المواهب بالعون المادي والرعاية والاهتمام هذا فضلاً عن فلسفته التي غيرت الكثير من معالم المجتمع الفرنسي آنذاك من خلال تمسكه بالتسامح وجمعه بين المبدأ الأساسي للأخلاق والإنسانية من خلال الواجبات الانسانية نفسها .

المبحث الاول

عصر النهضة

أولاً – مفهوم عصر النهضة الاوربية :

ويقصد به هو حركة التجديد والبعث والإحياء أو هو ذلك العصر الذي يعني مجموعة من التحولات التي طرأت على المجتمع الأوربي والانتقال من العصور القديمة للحضارة الرومانية واليونانية التي سادت في أوربا آنذاك إلى العصور الحديثة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية [١] ، وقد تبلورت أهداف وملامح تلك التحولات في المجالات كافة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين[٢] وكان ظهورها في بادئ الأمر في إيطاليا قبل انتقالها إلى بقية أنحاء أوربا [٣] ، وقد استهدفت تلك النهضة التركيز على التغيرات الحضارية والفكرية التي عرفتها أوربا في النواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية وبالتالي فأن أوربا قد شهدت مع حلول النصف الثاني من القرن الحادي عشر تغيرات حضارية وفكرية واسعة عدت بمثابة نهضة شاملة لكل نواحي الحياة[٤] ، وسميت في بداية ظهورها بالحركة الإنسانية كونها قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بإحياء العلوم الإنسانية القديمة لاسيما تلك المتعلقة بدراسة حياة الإنسان بكافة المجالات[٥] .

ثانياً – مراحل عصر النهضة :

تعددت آراء المؤرخين حول عصر النهضة أذ أن هذا العصر قد مر بمراحل واضحة المعالم وقد بدأت معالم ذلك العصر تتضح منذ بداية القرن الخامس عشر ألا أن ذلك العصر لم يأخذ شكله الحقيقي ألا بعد مراحل عده ، فمنهم من يشير إلى أن هذا العصر ظهر بشكل تدريجي واستمر على هذا التدرج حوالي ستة قرون مابين القرن العاشر والخامس عشر[٦] في حين أن آخرون يرون أن فترة ذلك التدرج بدأت بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر غير أن هذا التدرج كان عبر مراحل الأولى هي مرحلة الظهور التي كانت بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، ومرحلة النمو والتطور والازدهار التي استمرت من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر[٧] ، غير أن قسم من هؤلاء المؤرخين كانوا قد أكدوا بأن عصر النهضة الذي بدأ في أوربا ظهر في القرن الرابع عشر على أنه أساس لمرحلة انتقال من العصر الوسيط إلى العصر الحديث[٨]، غير أن فترة التبلور الحقيقة ونمو تلك المرحلة المهمة من ذلك العصر كانت في القرن الخامس عشر[٩] .

هناك مجموعة من الآراء التي دارت حول بدايات النهضة الأوربية فمنها ما ذكرت أن روح النهضة الأوربية كانت قبل عصر دانتي(*) بمدة طويلة فكان ظهورها يوم أن أخذ بعض الشعراء الأوربيين يقرضون الشعر الغزلي والفروسي بشكل واسع ومركز فكان هذا النمط من الشعر قد خرج في أعراضه عن مفاهيم الكنيسة فانصب على الاتجاه العلماني الذي يغذي روح الإنسان في كيانه المادي فكان شعر (جوفر) وشعر(برنار) وغيرها ومن هنا كانت النهضة الأوربية في مطلع عصرها ، وقيل أن النهضة الأوربية بدأت بدانتي الذي ركز على جعل اللغة الإيطالية لغة حديثة من بين اللغات التي ظهرت عندما ركز الفرد على أمته ووطنه أن اهتمام دانتي بلغة وطنه وأمته ثم تناوله الشعر الغزلي في وصف حبة (لبيتريس)(*) ثم مؤلفه (الكوميديا الإلهية) كل هذا جعل المؤرخين يقولون أن النهضة الأوربية ظهرت بظهور فكر دانتي ومؤلفاته ، وهناك رأى أخر يقول أن النهضة الأوربية بدأت بظهور رائد مدرسة البحث العلمي (بروجر بيكون)(*) وهو صاحب الطريقة التجريبية العلمية في أوربا فكان عمل بيكون قد مهد الطريق لأعمال علمية كبرى أدت إلى أحياء العلوم(١٠) ، وعلى أية حال فقد كان لهؤلاء المفكرين الأوربيين والجهود المُضنية التي بذلوها جميعهم في تلك الفترة من أجل بث أفكارهم والتعريف بفلسفاتهم وأراهم أسهمت في النهضة الأوربية بشكل واضح(١١) ، ومنهم الفيلسوف بيير بايل الذي أشتهر بمبادئه الفلسفية ومؤلفاته الشهيرة ليشق طريقه أمام المادية الفرنسية ويسهم في النهضة الأوربية آنذاك في القرن الثامن عشر(١٢) .

ثالثاً – عوامل قيام النهضة الأوربية :

تضافرت عدة عوامل أدت بمجملها إلى ظهور عصر جديد ساد أوروبا وهو عصر النهضة الذي يختلف كلياً عن بقية العصور التي مرت بها أوروبا آنذاك أذ ساعدت تلك العوامل على وصول أوروبا إلى أقصى مراحل النهضة والتطور سواءً من الناحية السياسية أو الناحية الفنية أو غيرها من النواحي الأخرى .

ولعل من أبرز تلك العوامل هي :

١. تأثير الحضارة العربية الإسلامية .

٢. ظهور المدن الإيطالية ومن أهمها البندقية وجنوا التي تميزت بازدهارها الاقتصادي وحركة رؤوس الاموال آنذاك.

٣. هجرة العلماء من القسطنطينية الى إيطاليا لاسيما بعد عام (١٤٥٣) فكان لهؤلاء العلماء دور كبير في نقل التراث الإغريقي إلى إيطاليا وبالتالي أحياء وبعث الحضارة اللاتينية واليونانية .

٤. ظهور الطباعة الحديثة على يد الألماني (غوتنبرغ)(*) عام (١٤٥٤) والتي أسهمت بطبع الكثير من الكتب والمخطوطات والنوادر المخفية من الرسائل وغيرها للكثير من العلماء وبالتالي ادت الى انتشار العلم والمعرفة بأوروبا بصورة اوسع .

٥. ضعف دور البابوية والكنيسة ، أصبح فساد الكنيسة والبابوية واضحاً للعيان وهيمنتهم على اوروبا هذا ادى الى ظهور الطبقة المثقفة من العلماء انهت دور وتسلط الباباوات الكنيسة.

٦. ظهور الكثير من العلماء والمفكرين والذين عرفوا بالإنسانيين وقيامهم بإحياء التراث اليوناني والروماني .

٧. الاتصال الحضاري بين مختلف الدول الأوربية وتشجيع العلم والثقافة والمعرفة بعد فترات من الصراعات السياسية فيما بينهم(١٣).

ونستنتج من خلال ما تقدم بأن عصر النهضة الأوربية كان أحد أهم العصور المهمة والمحورية التي ساهمت بشكل رئيسي في حدوث تغييرات كبيرة شملت كل مفاصل ومظاهر الحياة العامة في القارة الأوربية وتفاصيلها ومهدت للمزيد من التقدم في كافة المجالات العلمية والفكرية والفلسفية والثقافية والفنية والسياسية والاقتصادية والحرص على المعرفة وتوسيع مجال النشاط الفكري وجعل الإنسان محوره الرئيسي ، أذ ساعدت عوامل تلك النهضة على وصول أوروبا إلى أقصى مراحل النهضة والتطور في كافة المجالات .

المبحث الثاني

المفكر الفرنسي بيير باييل وأثره في الفكر الأوربي

يشغل الفكر الأوربي في القرن التاسع مكانه كبيرة نظراً لأهميته وأثاره العميقة في القارة الأوربية والعالم على حداً سواء وأما عن أهم التأثيرات التي شهدتها أوربا آنذاك فتظهر من خلال تأثيره الكبير على القارة الاوربية وظهور مبادئ سياسية واجتماعية جديدة رافق ذلك ظهور عدد كبير من المفكرين الأوربيين برز دورهم في معالجة الكثير من قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والفلسفية

ولعل من أبرز أولئك المفكرين الذين لمع نجمهم في تلك الفترة هو الفيلسوف : بيير بايل (١٦٤٧ – ١٧٠٦).

أولاً – ولادته ونشأته :

ولد في (كارلا) الفرنسية وهي قرية فرنسية تقع على الحدود مع أسبانيا ، بعد أكمال دراسته الابتدائية تولى والده تعليمه ثم أرسله عام (١٦٦٩) إلى الأكاديمية البروتستانتية في بويلوران غير أنه أصيب بخيبة أمل من هذه الأكاديمية لما رأى نفسه أكبر وذكاء بكثير من بقية الطلبة فتركها بعد ثلاثة أشهر ليدخل الكلية اليسوعية في مدينة تولوز وبعد أن درس الكتب التي كانت محل نقاش وسمع حجج بعض الأساتذة تحول إلى الكاثوليكية وجعلته بعد فحص آخر أن يرجع إلى (الكالفينية) وهي تيار بروتستانتي يعود في اعتقاده إلى مؤسسة اللاهوتي الفرنسي جون كالفن وبعد سبعة عشر شهراً تخلى عن الكاثوليكية وقرر الاستقرار في جنيف وهناك أنهى دراساته الفلسفية واللاهوتية ، وفي عام (١٦٧٤) عاد إلى فرنسا باسم مستعار وأصبح معلماً خصوصياً في مدينة روان وأقام لفترة من الزمن في باريس قبل أن يستقر أخيراً في سودان حيث عهد اليه بكرسي الفلسفة في الأكاديمية البروتستانتية عام (١٦٧٥) [١٤] وبعد أن أغلقت هذه الاكاديمية عام (١٦٨١) فوجد له ملجأ في روتردام[١٥] بهولندا والتحق بوظيفة أستاذ للتاريخ والفلسفة في المدرسة الكبيرة في أكاديمية البلدية وكان من أوائل المفكرين الذين اتخذوا من هولندا في تلك المدة قلعة للفكر الحر.

ثانياً – مؤلفاته :

عام (١٦٨٢) أصدر أول عمل هام له هو (خواطر حول مذنب) عام (١٦٨٠) غفلاً من أسم المؤلف وفيه هاجم بلا هوادة الأفكار المسبقة التي تعزو إلى المذنبات بعض التأثير على مجريات أحداث الأرض كما هاجم فيه الخرافات والتعصب وقد تعرض على هذه الأفكار إلى حملة استنكار عامة وقد تفاقمت حده الانتقادات التي استهدفته مع صدور كتابه (نقد تاريخ الكالفنية للأب ميمبورغ) عام (١٦٨٢) الذي هاجم فيه بلذع أعداء حركة الإصلاح البروتستانتي ونجح اليسوعيون في أن ينتزعوا من الملك أمراً بإحراق هذا الكتاب في باريس ورد بيل عن هذا الإجراء بإصداره مؤلف أخر وهو (فرنسا الكاثوليكية للغاية في عهد لويس الأكبر) عام (١٦٨٥).

كان بيل يحلم بتأسيس مجلة تزود قراءها بكل التطورات الهامة في الأدب والعلوم والفلسفة والبحوث والكشوف والتاريخ الرسمي وقد ظهر فعلاً العدد الأول منها (أخبار جمهورية الأدب) عام (١٦٨٤) ، غير ان تدهور حالته الصحية المفاجئة حالت دون الاستمرار بكل أعمالة الادبية ثم تعرض بعدها إلى الأضطهاد من قبل القوات الفرنسية أذ وقع ثلاثة من أفراد أسرته بيد تلك القوات ونتيجة لاضطهاد البروتستانت فقد توفيت والدته عام(١٦٨١) ومات والده عام (١٦٨٥) وفي العام نفسه سجن أحد أخوته ثم قضى نحبه نتيجة التعذيب والقسوة وبعد ذلك بستة أيام الغى (مرسوم نانت)[١٦] الذي كان قد منح به الفرنسيين البروتستانت قدراً كبيراً من الحرية الدينية فصعق بيل لهذه التطورات ولم يكن له من سلاح غير قلمه فأصدر متحدياَ الطغاة المستبدين إحدى الروائع في أدب التسامح الديني وكان عنوانها (تعقيب فلسفي على كلام يسوع المسيح) ، طالب فيها بحرية الاعتناق الديني وقد أثارت هذه التطورات موجة عارمة من السخط والغضب في صفوف البروتستانتيين بالذات فحرم من عمله كأستاذ للفلسفة في المدرسة[١٧] الكبيرة في روتردام عام (١٦٩٣) فقرر ان يعيش منعزلاً ورفض الزواج مكرساً نفسه للبحث والدعوة إلى التسامح ليصدر عقب فترة انعزاله وانقطاعه عن الآخرين (القاموس التاريخي والنقدي) الذي كان دراسة نقدية للأشخاص والأماكن والآراء في التاريخ والجغرافية وعلم الأساطير واللاهوت والأخلاق والأدب والفلسفة فكان لهذا العمل أن حظي بالتأييد الشعبي لكنه في نفس الوقت قد تعرض إلى نقد وشجب الكنيستين البروتستانتية والكاثوليكية الفرنسيتين فقد منعت الأخيرة صدوره بينما طلبت الأولى أن يقوم بتنقيح وتوضيح بعض المسائل الواردة في القاموس وهذا ما قام به فعلاً في الطبعة الثانية لهذا التي ظهرت عام (١٧٠٢) وبعد هذا الجهد الضخم استمر (بيير بايل) يعيش في روتردام منقطعاً للتأليف والمجادلات المختلفة ومدافعاً عن بعض ادعاءاته الواردة في القاموس ومحارباً خصومة الذين كانوا يتزايدون بمرور الزمن .

ومنذ صغره ظهرت علية علامات الذكاء ، تتلمذ على يد الذي كان قسيساً بروتستانتياً فعلمه اللغتين اليونانية واللاتينية في عمر مبكر ، دخل بعدها معهد (بويلوران) في سنته التاسعة والتحق بعده بمعهد الآباء اليسوعيين في مدينة تولوز فتعلم الفلسفة ، تحول بعدها من المذهب البروتستانتي الى الكاثوليكية بحثاً عن جديد في معالجة موضوعات الدين فلم يجد شيئاً لذا عاد الى ما كان فيه وسافر الى جنيف للعمل في التعليم الفردي ، ثم عاد الى فرنسا

فعمل فتره في باريس ليستقر بعدها في سودان التي شغل فيها (كرسي الفلسفة) في اكاديميتها البروتستانتية حتى عام (١٦٨١)[١٨] أذ انتقل لشغل هذا الكرسي في روتردام ، نشر في العام التالي بحثاً بعنوان (خواطر حول المذنبات) هاجم فيه بحده ما شاع في الأوساط الدينية من تصديق خرافات وأباطيل وأكاذيب تروج لتأثير المذنبات في تحديد الخير والشر والمشاركة في توجيه الأحداث .

لم يكن بالملحد برغم هجومه على الكاثوليكية وكان أول من قام بدراسة نقدية للمسيحية وحمل عما تسرب اليها من أساطير انطلق في مذهبه الشكي من شكية الفيلسوف الفرنسي ديكارت أما أهم مؤلفاته فهو ذلك المؤلف الضخم الشهير بعنوان (القاموس التاريخي والنقدي) وعلى كل حال فأنه الفيلسوف الذي شق الطريق أمام المادية الفرنسية في القرن الثامنة عشر[١٩] .

ثالثاً – أهم القضايا التي عالجها بيير بايل :

كان بابيل من أولئك المفكرين الشجعان الذين عالجوا بجرأة وإقدام القضايا الاساسية ولعل من أهم تلك القضايا الاساسية التي اهتم بها كثيراً هي قضايا الشر ، حرية الإرادة والعناية الإلهية في الشؤون البشرية ، وعلاقة الايمان الديني بالسلوك الأخلاقي ، والتسامح الديني ، وقد أبدى تعاطفاً مع المذهب المانوي أو بالأحرى الهرطقة الغنوسية والقائلة بأن ثمة مبدأ منفصلاَ ومستقلاً للشر قائم في الكون ، هذا فضلاً من أنه كان كثيراً التوبيخ لإتباع كالفن أو أية طائفة مسيحية أخرى تقول بأن الله خالق الشر ولعل أهم فرضياته وأشهرها تلك المعروفة باسم (مفارقة بايل) والقائلة بأن الملحد قد يكون مواطناً طيباً نظراً لان ليست ثمة علاقة بين الفضائل المدنية وبين الدين ولهذا كان دائماً ما يردد قائلاً أنه ليس هناك غير عدد قليل جداً من المسيحيين الحقيقيين وقد اتبع بإخلاص شعاره القائل (إن الأخطاء لن تصبح على حالً أفضل ، بسبب كونها قديمة) لذلك حاول إعادة فحص الأشياء ، مستخدماً مستويات عالية من الصحة الواقعية والعقل النقدي من خلال مؤلفه (القاموس النقدي) والذي قام به وحده فاعتبر أهم سلف (للأنسكلوبيديا)[*] التي قدر للفلاسفة الأنسكلوبيديين أن يشيدوها بعد خمسين عاماً من صدور كتاب بيير بايل او مرجعاً لكل دارس[٢٠] .

ولعل من أهم الجوانب الفلسفية والفكرية التي ركز عليها الفيلسوف الفرنسي بيير بايل هي :

رابعاً – الضمير في فلسفة بيير بايل :

يعد الفيلسوف الفرنسي بيير بايل أحد الفلاسفة الأوائل في العصر الحديث الذين دافعوا عن فضيلة التسامح وعن حرية الضمير، من خلال دفاعه عن التسامح الكلي ، فهو يرى أنه ليس هناك حل وسط بين التسامح والتعصب ؛ بمعنى أنه إما أن يكون هناك تسامح شامل لجميع المذاهب والأديان ، أو لا يكون. أما نصف التسامح ؛ أي التسامح مع بعض الجماعات وحرمان الجماعات الأخرى منه ، فهو ليس خياراً ، وليس من التسامح في شيء. هكذا يجب التسامح مع الجميع سواء كانوا يهود أو مسيحيين أو مسلمين أو وثنيين أو ملحدين ، فالجميع يستحق التسامح. وفي هذه النقطة بالذات يتجاوز بيير بايل تصور (جون لوك)[*] للتسامح ، بحيث أن لوك لم يكن من منظري التسامح مع الملحدين ومع الجماعات الدينية التي تعلن ولاءها لحاكم آخر غير حاكم الدولة ، في حين أن بايل كان يدعوا إلى التسامح حتى مع الملحدين الذين لا يؤمنون بأي إله.

ألف بيير بايل مجموعة من الكتب التي دافع فيها عن قيمة التسامح مثل كتاب "ما تعنيه فرنسا الكاثوليكية المتعصبة في عهد لويس الكبير ، وكتاب "تفسير فلسفي لهذه العبارة المنسوبة إلى يسوع المسيح أجبرهم على الدخول في هذا الكتاب ينتقد بشكل كبير التعصب الأعمى للكاثوليك ورفض التعددية المذهبية والعقائدية في المملكة الفرنسية ، وإجبار الناس كلهم على اعتناق مذهب واحد غصبا عنهم لديه كتاب آخر تحت عنوان "مرافعة من أجل الدفاع عن حقوق الضمير التائه" كل هذه الكتب التي ألفها بيير بايل كان يهدف من خلالها إلى الحد من التعصب الديني الذي كان منتشراً في أوربا بشكل عام ، وفرنسا بشكل خاص. تكمن قوة بيير بايل في إعادة قراءته للنصوص الدينية المسيحية على ضوء المبادئ العقلانية والأخلاقية بدون الخروج عن المقاصد الكبرى للدين المسيحي يؤكد بايل أن الدين المسيحي في جوهره لا يدعوا إلى اضطهاد الآخرين بدعوى إدخالهم إلى الإيمان الحق[٢١] ، وكل تأويل لهذه النصوص بأنها تبيح الاضطهاد هو نتيجة لسوء الفهم والتعصب هذا التأويل الخاطئ للنص الديني نجده عند القديس أوغسطين بقوله "هناك اضطهاد جائر يمارسه الأشرار ضد الكنيسة ، وهناك اضطهاد عادل تمارسه الكنيسة ضد الأشرار وهو النص الذي يستند عليه أوغسطين من أجل تبرير قوله هذا موجود في إنجيل لوقا وهو "اخرج إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي" خصص بايل كتاباً كاملاً مؤلفاً من أربعة أجزاء للرد على

هذا التأويل الخاطئ للنص الديني ، إذ يؤكد من خلاله أن ما يتعارض مع العقل هو أمر زائف بدون شك ؛ لأن إجبار المرء على التصرف خلافاً لما يمليه عليه ضميره هو أمر يتناقض مع النور الطبيعي في الإنسان(٢٢) ؛ وبالتالي فهو أمر خاطئ مثل خطأ ذلك التفسير الحرفي للنص.

أورد بايل مجموعة من البراهين والحجج التي أراد من خلالها بيان أن الاضطهاد والتعصب التي تمارسه المذاهب المسيحية على بعضها البعض ليس من الدين المسيحي في شيء ؛ بمعنى أنه نتيجة للتأويلات الخاطئة للنص المقدس ، ولابد من القيام بإعادة تأويل هذا النص وفق المقاصد الكبرى التي يدعوا إليها الدين المسيحي ، مثل قيمة المحبة والتسامح هذا العمل الذي قام به بايل في مجموعة من المؤلفات يذكرنا بالتأويل الذي قامت به المعتزلة للنص القرآني على الرغم من اختلاف السياق التاريخي والإشكالية التي سادت في هذا العصر الإسلامي وهي إشكالية خلق القران فكلاهما يهدفان إلى فهم جديد للنص الديني بما يوافق مبادئ العقل ، فلا يمكن أن يمنح الله للإنسان العقل ويشرع أحكام مخالفة له. ترى المعتزلة أن العقل يستطيع إدراك الحق والخير والشر بدون الاستعانة بالوحي ، إذ أن ما يحسنه العقل هو الخير، وما يقبحه هو الشر.

خامساً – فلسفة بيير بايل :

تقوم فلسفة بيير بايل على الدفاع عن حرية الضمير؛ أي حرية اعتناق الإنسان للدين الذي يمليه عليه ضميره ، بل أكثر من ذلك ، إن حرية الضمير، وفق هذا السياق ، تعني حرية الخروج من الدين ، مادام أن الإنسان لم يقتنع بالدين الذي كان يعتنقه. في هذا المضمار تصبح حرية الضمير الأساس الذي يجب أن تقوم عليه تشريعات الدولة ، ولا يجب على هذه الأخيرة أن تفرض دين معين على الأفراد ، كما فعل لويس الرابع عشرة في فرنسا ، فليس من اختصاص الحاكم فرض الدين بالقوة داخل المجتمع ، وإنما اختصاصه يكمن في حفظ السلم والنظام وممتلكات الأفراد ، وعندما يفعل العكس فإنه يقوم بتقويض أساس التسامح ، والذي يؤدي بدوره إلى تقويض أساس المجتمع ، فالتسامح يحول دون عدم استقرار المجتمع(٢٣).

لقد كان بيير بايل مهووساً بوجود الشر في العالم فالآلام والقسوة والمظالم تملأ صفحات التاريخ ولذلك ثار على اولئك الذين تحدثوا عن العناية الإلهية وعن الضرورة الكريمة وجرفت

ثورته أمامها المطران (بوسية[*] – وسبينوزا[*]) ولا خلاف أن تدريبه الكلفيني كان عاملاً في اقناعه بالعقيدة القائلة بأن الجسد خاطئ ودنس وأن العالم مسرح للإغواء الشيطاني ولكنه كان يرغب في الثورة على تلك العقيدة لا في التسليم بها ونحن نرى لدى بيير بايل الكثير من التشاؤم الوحشي الذي ساد عصر التنوير بالإضافة الى تلك الرغبة الضاريه في ضرب الشر واستئصاله وكانت لنتيجة نظريات بيير بايل وأفكار (فونتينللي)[*] ونظريات فرنسا مهيأة لدخول حقبة جديدة مع وفاة ملكها (لويس الرابع عشر) عام (١٧١٥)[٢٤].

سادساً – فلسفة الشك :

هي حركة فلسفية في اليونان القديمة تدعو إلى الشك في ما لا يتحققه الإنسان بالتجربة حاول الشكوكيون إضعاف ثقة الناس في الملاحظة والعقل باعتبارهما دليلين لفهم العالم ، وجادلوا ضد كل المدارس الفلسفية والدينية كان الشكوكيون يعتقدون أن الناس يمكن أن يتأكدوا من طبيعة ملاحظاتهم ، لكنهم لا يمكن أن يتأكدوا من أن ملاحظاتهم تعكس العالم الحقيقي وطبقاً لآراء الشكوكيين ، فإن الناس يجب أن يعلقوا الحكم فيما يتعلق بحقيقة أو كذب إدراكهم الحسي وهناك مدرستان للشكوكية في اليونان المدرسة الأولى اعتبرت (بيرو الأليسي)[*] مؤسسها الذي عاش بين عامي (٣٦١ – ٢٧٠ ق.م) وسُميت هذه المدرسة باسم المدرسة الشكوكية البيروية وقام إنسيدموس بتطويرها وتم عرضها بالكامل في كتابات سكستس إيمبريكس الذي عاش عام (٢٠٠) م تقريبًا المدرسة الثانية للشكوكية تطورت في المدرسة الفلسفية التي أنشأها أفلاطون وكانت تعرف باسم الشكوكية الأكاديمية ، اهتم هؤلاء الشكوكيون بكشف صعوبة آراء الفلاسفة الآخرين وموجز المبادئ الشكوكية حفظه شيشرون في كتابه أكاديميكا .

أدت الشكية في القرنين السابع عشر والثامن عشر دوراً مهماً في دحض العقائد القطعية الخاصة بالإيديولوجيا في القرون الوسطى وقد وضعت أعمال مونتاني وبيير بايل وغيرهما محاولات رجال الدين موضع التساؤل ومهدت كل السبل لاعتناق المادية من جهة وحدت النزعة الشكية عند باسكال وهيوم وكنت وغيرهم كثيراً من إمكانيات العقل وتعطيل دوره بصفة عامة فمهدت الطريق للإيمان الديني[٢٥].

أن مذهب الشك هو العماد الذي يتكئ عليه الفكر الغربي المعاصر منذ أن دعا إلى الشك الفيلسوف رينيه ديكارت ؛ إذ يقول : (أنا أشك إذن أنا موجود) والشك عند ديكارت هو

خطوة التأمل الفلسفي الأولى والأساسية ، وهو السبيل الأمثل للوصول إلى اليقين ، وهو وسيلة للحصول على معرفة الحقيقة معرفة أكثر وضوحاً حين يقول (الشك خطوة ضرورية لا بد من اتخاذها فخبرتي بالخطأ وتعرضي له منذ عهد بعيد واحتمال تجدده بفعل تلك الأحكام التي خضعت لها ولم أتبين صحتها ، سواء كانت أحكاماً فرضها الغير من معلمين أو مرشدين ، أو من وكّل إليهم أمري ، أم أحكاماً فرضها عليّ الحس أو الخيال وتعرضها للخطأ معروف إن كل هذا يدعوني إلى الشك)[٢٦].

سيطرت المدرستان (البيرونية والشكوكية الأكاديمية) على الفكر الشكي الفلسفي حتى العصر الحديث ، إذ اعتنقت الفلسفة الوضعية الحجج التقليدية في النزعة الشكية واستغلتها لصالحها ، فالوضعية تعدّ جميع الأحكام والتعميمات والفروض ، غير مجدية إذا تعذر اختبارها وقصرت البراغماتية الذرائعية المعرفة على الفروض التي تأكد صدقها تجريبياً وكذلك أدّعت التجريبية منذ ستيورات مل ، وما بعده أنها لم تعثر على أي وسيلة لتحصيل أي نوع من المعرفة اليقينية يمكن أن يتجاوز عالم التجربة والظواهر إلا في المصطلحات المنطقية وتحصيلات الحاصل الرياضية. واستخدم رَسِل الطبيعة الاحتمالية للعلم ليحذر من الآراء الدوغماطيقية وقدّم وليام جيمس وفرويد ومانهايم أشكالاً جديدة من الشكية النسبية ، أكدوا فيها أهمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية في صياغة المعتقدات والتصورات عن الحقائق ، وحاول هيغل أن يبين أن الشكية نقيض الفلسفة وأنها مرحلة عابرة في تاريخ الشعور[٢٧].

يعد بيير بايل واحداً من أبرز المفكرين في القرن السابع عشر الميلادي تميز بنزعة شكية متطرفة واتجاه نقدي لاذع لعدداً هائلاً من النظريات الفلسفية واللاهوتية والعلمية القديمة والحديثة للتحليل النقدي مبيناً ما فيها من قصور وتناقض وقد حاز على العدة اللازمة لإنجاز هذه المهمة فعدته هي جدلية دقيقة وعدد هائل من الحجج الشكية ومعرفة جداً أن بيل في محاولة تقويض المذاهب جميعاً بنزعة الشكية لم حريصاً على المذهب جديد وبذلك الفلسفة عنده منهجاً شكلياً ، ويمكن القول أن بيير بايل كان أعظم الشكوكية حدة في العصر الحديث أّذ طور مذهباً شكياً متطرفاً للغاية يعارض في المجالات الفلسفية واللاهوتية والعلمية والرياضية والتاريخية مستخدماً حججاً هائلة لهذا الغرض ومستفيداً من التراث الشكي كله ولقد تميز بمهارة جدلية كان يفتقر اليها الشكوكيون الأوائل واستعمل بشكل نهج أحد أبطاله وهو

روديريجو أرباحاً (وهو آخر الفلاسفة المدرسين الأسبان) المحتمل أنه تعلمه من اليسوعيين خلال دراسته في مدينة تولز ويقوم هذا النهج على بيان ضعف كل محاولة عقلية لفهم بعض جوانب التجارة البشرية أن بيل مثل (أرياجا) قبله فهو يظهر مرة بعد المأزق الفكري الذي يقع فيه الإنسان أذ تنتهي دائماً كل محاولاته العقلية بنظريات حبلى بالتناقض والسخافة أن الشيء اليقيني الوحيد بنظر بييل هو لا شيء يقيني وفي الحقيقة أنه كان يشك كذلك في مذهب الشك[٢٨].

سابعاً – تأثير فلسفة بيير بايل على الفلاسفة الاخرين :

مارس الفيلسوف بيير بايل تأثيراً هائلاً على فلاسفة القرن العشرين ففي فرنسا كان فطام فلاسفة عصر التنوير على قاموسه فقد اعترف (ديدرو) بفضل بيل عليه وحياة بأنه أعظم شارح مهيب لمذهب الشك في العصور القديمة والحديثة معاً وأطلق فولتير على قاموسه الفلسفي بأنه ترديد لقاموس بيل وعدة (أعظم أستاذ في فن الجدل) وكان لبيل بعض التأثير على التنوير الألماني ونظر لودفيج فيورباخ في القرن التاسع عشر الى بيل على أنه أهم شخصية بارزة ساهمت في بزوغ الفكر الحديث وخصص مجلداً كاملاً له[٢٩].

يمتد تأثير فلسفة بايل الى ما وراء الفلاسفة حيث أثارت نصوصه الفلسفية اهتمام المؤرخين وعلماء الدين والأدب والمنظرين السياسيين وكانت فلسفة بايل غزيرة الإنتاج بشكل لا يصدق سواء في المراسلات الشخصية أو في الأعمال المنشورة وأظهر الشكل الموسوعي لقاموسه اتساع وعمق معرفته المذهلين وبطبيعة الحال فقد كان لفلسفته تأثيراً واضح على عدد كبير مكن الفلاسفة ومنهم (جون لوك – ليبنيز – ايمانويل كانط) وعصر التنوير ونلاحظ أن أهم تأثير لبايل على المنهج الفلسفي كان على أبرز شخصيتين انكليزيتين وهما:

جورج بيركلي : تدور الفلسفة المشتركة بينهما حول نسبية الادراك الحسي حيث يختلف تصور كلاهما في ظل ظروف متفاوتة لوضعهما في العقل هو ايضاً سبب لوضع الأساسي في العقل ، وهنا بيير بايل يؤكد أنه لا يوجد شيء مثل المادة وسواء أكان ذلك موجوداً أم غير موجود يمكن لله أن ينقل إلينا بنفس القدر كل الافكار التي لدينا ، ومثل هذا التواصل الإلهي بالطبع هو ما كان بيركلي يدعو اليه وعلاوة على ذلك يوسع بايل في إحدى ملاحظاته حجة زينو ضد الحركة بأنكار وجود هذا التمديد وحجته هي أن الامتداد لا يمكن أن يتكون من نقاط رياضية أو من ذرات ولا يمكن أن يكون غير قابل للقسمة بلا حدود .

ديفيد هيوم : أن تأثير بايل هائل على دفيد هيوم أمر لا شك فيه وقبل وقت قصير من نشر أطروحته لفت هيوم انتباه صديقة ما يكل رامس الى اربعة نصوص تسهل قراءته لها حيث كان أحدها المقلات الأكثر ميتافيزيقية لقاموس بايلز مثل تلك الموجودة على زينو وسبينوزا ، ومن بين المدخلات الفلسفية في المذكرات المبكرة تعامل نصفها تقريباً مع بايل والأهم من ذلك هو استخدامات بايل النصية ولفت كيمب سميث الانتباه منذ فترة طويلة الى خمس قضايا كانت لبايل في رأيه تعد الأكثر تأثيراً ولا يرقى اليه الشك على هيوم وهي :

أولاً– من مقال زينو يأخذ هيوم تقسيم بايل الثلاثي للطرق المحتمله التي يمكن أن يتشكل بها المكان والزمان وهي من النقاط الرياضية أو من النقاط المادية أو انها قابلة للقسمة بلا حدود ولكن في حين جادل بايل بعبارات لا لبس فيها أن أياً من هذه الاحتمالات كان يمكن الدفاع عنها بشكل عقلاني فأن هيوم في الواقع يختار النقاط المادية بمفهومه للحساسية الدنيا غير القابلة للتجزئة وفضلاً عن ذلك فأن النتيجة هي حساب غير قياسي للهندسة كعلم غير دقيق يعتقد هيوم أنه بذلك يحافظ على العقل من التناقضات التي لا يمكن حلها.

ثانياً – أن هيوم قد تأثر برواية بايل التاريخية عن أنواع الشكك واستخدامه للحجة المتشككة في مهاجمة المواقف الأرثوذكسية وقد لا يكون من المضلل للغاية وصف حل هيوم للصعوبات من حيث الذوق والمشاعر كنسخة طبيعية من قرار بايل الخارق للطبيعة من حيث النعمة التي تم وصفها بنفس العبارة .

ثالثاً – علاقة ثالثة تتعلق بميتافيزيقا الجوهر والأسلوب والهوية ، حيث يأخذ هيوم من مقال سبينوزا الاعتراضات التي قدمها بايل ضد (الفرضية البشعة) لسبينوزا القائلة بأنّه لا يوجد سوى جوهر واحد وهو الله ، ويطبق هذه الاعتراضات على الرأي القائل بأنّ البشر يمتلكون نفسًا هي جوهر بسيط وغير قابل للتجزئة وغير مادية ، وتم رفع حجة هيوم بأكملها في ثلاث مراحل ورفضين للرد من بايل.

رابعًا – لفت كيمب سميث الانتباه إلى مناقشة ذكاء الحيوان في مقالة (روراريوس) ، وفي هذه الحالة يكون تأثير بايل أقل وضوحًا ، ومن المفترض أنّه كان يقصد الفصل التاسع من التحقيق ، ولكن هنا يجد المرء أنّه التمرين الرئيسي هو تطبيق الحجة بالقياس مع التأكيد على أهمية التجربة ، ومع ذلك هناك نداء نهائي للغريزة لشرح السلوك المعرفي لكل من الرجال والحيوانات ، وهنا ربما يكون بايل قد لعب دورًا ما.

خامسًا – ربما يكون هيوم قد تأثر بمعالجة بايل للأسئلة الدينية وخاصة الحجة من التصميم ، وهذه منطقة محيرة للغاية بسبب الأرثوذكسية المشكوك فيها لآراء بايل والتعبير عنها والعديد من الغموض نفسه ، وهذا بالطبع يؤثر على آراء هيوم بشأن هذه الأسئلة على الرغم من أنّ مغايرته تبدو أقل إثارة للجدل[٣٠].

ثامناً – صفات المؤرخ عند بيير بايل :

كتب بيير بايل بهذا المجال بالقول أن على المؤرخ أن يكون مهتماً فقط بمصالح الحق واهتمامات الحقيقة ، حيث ينبغي له أن يضحي على مذبحها بالأحقاد وبذكرى أفضال الغير عليه وحتى بحبه لوطنه ، ويتوجب عليه أن ينسى أنه ينتمي إلى أي بلد ، وأنه نشأ على مذهب معين ، وأنه يدين بالفضل إلى هذا أو ذاك الإنسان ، وأن أولئك هم أهله وهؤلاء هم أصدقاؤه ، فالمؤرخ الحقيقي هو (ملكي صادق) لا أب له ولا أم ولا نسب ، وإذا سأله أحدهم من أين أنت ومن أنت فعليه أن يجيب أنا لست فرنسياً ولا المانياً ولا انكليزياً أنا إنسان مقيم في العالم ، وأنا لست بخادم للإمبراطور ، ولا بخادم لملك فرنسا بل أنا خادم الحقيقة[٣١].

تاسعاً – تأثيره في الفكر الفرنسي :

تقويضه العالم العقلي القديم لكنه لم يكن حريصاً على بناء عالم جديد لاعتقاده أن العقل مؤهل للكشف عن الأخطاء على نحو أفضل من اكتشاف الحقائق الايجابية ، هذا فضلاً عن ذلك فقد أثار بيل الكثير من المشكلات وكان على الفلاسفة اللاحقين فحصها ومحاولة وضع الحلول المناسبة لها ، وتزويده الفلاسفة في القرن الثامن عشر بالكثير من الأفكار والحجج للهجوم على المذاهب الإيديولوجية واللاهوتية المعاصرة لهم والانطلاق نحو عصر العقل ، وبالرغم من كل تلك الجهود التي بذلها فقد ضعف تأثير بير بايل تدريجياً لسببين الأول أن فلاسفة عصر التنوير مثلوا جزءاً مهماً من أفكاره والثاني أن الطروحات الأساسية التي كافح لإقرارها مثل التسامح وحرية الاعتقاد والتعددية قد ترسخت وأصبحت من الحقائق الثابتة في الضمير الأوروبي والفرنسي وأن كانت محل نقاش ، فكانت لهذه الأفكار والآراء الفلسفية والأدبية تأثيراً عليه أذ تعرض للاضطهاد وأتهم بالإلحاد والهرطقة الأ أنه لم يتنازل عن أفكاره طوال حياته وكان الى حد أخر لحظة من حياته مستعداً لمناقشتها ولكن دون التنازل عنها أذ كان ضميره مقتنعاً بها أو كانت تقوم على حقائق لا يمكن دحضها[٣٢] .

هذا فضلاً عن تمسكه بالتسامح وان يوفق ذلك المبدأ بين المبدأ الأساسي للأخلاق والإنسانية من خلال الواجبات الانسانية التي لا غنى عنها والتأكيد على الحقوق الفردية ، كان الأساس في مذهب بيير بايل هو التسامح المتمثل في اليقين الواضح للعقل الإنساني في إدراكه للمبدأ الأساسي للأخلاق بشكل لا يترك مكاناً للريبة ، كما أنه تصدى للاهوت العقلاني بصفة خاصة من خلال مؤلفه الذي حمل عنوان القاموس الذي بين فيه أن العقل هو النور الطبيعي غير متوافق مع العقيدة على جميع الأصعدة ، ولهذا كان بيير بايل من أشد المفكرين والفلاسفة الذين تصدوا بقوة لآثاره التعصب الديني الضارة بل كان يدعو إلى التسامح من خلال طرحه لحجج عقلانية في خدمة الضمير المستنير[٣٣] .

و أن عصره كان واحداّ من أهم الفترات المهمة التي مرت بها فرنسا ولاسيما خلال عصر الملك (لويس الرابع عشر)[*] فقد حشدت خلال تلك الفترة العديد من المواهب في نقطة متوهجة في باريس وحولها وعمل الملك على مد تلك المواهب بالعون المادي والأدبي ومنحها اللغة الفرنسية المعسولة ، والشفافة حيث أصبحت اللغة الدولية للعلوم وللدبلوماسية ايضاً ولم يكن في ذاك العصر أي مكان آخر في العالم جديراً بأن يكون العاصمة الفكرية والثقافية ، غير تلك المدينة الفرنسية باريس ، فلقد جمعت بين المكانه الموقوفة شرحاً على القوة ، وبين الأسلوب والفطنة والأفكار ، ووفرت المؤسسات الثقافية (الصالونات والأكاديميات) وأحاطتها بأجواء دولية ، وبذلك أصبحت باريس تنتمي للعالم وليس لفرنسا وحدها ، وكان المرء يومذاك يستطيع أن يتحدث عن ذبول روما وإكليروسها المهجورة ، وعن ريفية لندن نسبياً ، بالإضافة إلى لا مبالاة إنكليزية بالأفكار والتصورات ، وعن أجواء برلين شبة البربرية ، ناهيك بموسكو ، فجميع تلك العواصم كانت تتطلع بطبقاتها من المثقفين إلى فرنسا ، حيث كان أولئك يتحدثون ويكتبون باللغة الفرنسية طوال القرن الثامن عشر[٣٤] .

عاشراً – وفاته : توفي بيير بايل في (٢٨/كانون الأول/ ١٧٠٦) وهو منهمك في أكمال عمله الأخير (أحاديث بين ماكسيم وثيمست) الذي نشر بعد وفاته في روتردام عام (١٧٠٧) .

الخاتمة

نستنتج من كل ما تقدم بأن الفيلسوف بير بايل كان له تأثير واضح في الفكر الأوربي عامة والفرنسي خاصةٍ وهذا واضحاً من خلال من خلال ما كتبه من أفكار فلسفية وآراء وأفكارٍ واضحة فهو يعطي المضمون والحكمة ويوضح بإرشاده في نهاية المطاف انه يزود الحاضر بالماضي من خلال فلسفته التي سادت في المجتمع الفرنسي واستندت إلى النظر بوجوب التغيير واستطاعت أن تؤثر فيه وهي بلا شك أحدثت نوعاً من التأثير الواضح أذ أنها علمت المجتمع الفرنسي التفكير اعتماداً على القوانين الثابتة التي حددتها فلسفته غير أنها رعت أيضاً نمطاً من الاعتماد على العقل وحطمت كل الأفكار التي سادت المجتمع الفرنسي آنذاك [٣٥].

Philosopher Pierre Bayel and his impact on French thought

Keywords: Philosophy, Bayel, French thought

millimeter. Omar Razak Hammoud
University of Anbar - College of Arts - Department of History q

Abstract

The Renaissance in the European continent is one of the eras that Europe went through at the time, and it was considered a turning point from the dark medieval era to the modern era, in which European society witnessed a general transformation that included all aspects of European society, including cultural, religious, scientific, political, economic and social. There is no doubt that this great transformation came after What the European continent went through with many problems and events, as well as the Europeans benefiting from ancient civilizations (Greek and Roman), as well as the influence of Islamic civilization, which had a great role in influencing European society. Literature, art and culture, national languages developed, modern countries crystallized, and the religious reform movement made its way and clearly revealed its role. From here, many European philosophers have emerged who have clearly contributed to raising awareness and sophistication of society and man. Perhaps the most prominent of these is the French philosopher Pierre Bayel and his impact on French thought. Through his philosophical writings and intellectual views.

المصادر :

- [١]– عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل أحمد ياغي ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، دار المريخ للنشر – ديوان المطبوعات الجامعية ، المملكة العربية السعودية – الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٠ .

- [٢]- جلال يحيى ، أوربا في العصور الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٦٠ – ٢٦١.
- [٣]- نعيم فرح ، الحضارة الاوربية في العصور الوسطى ، ط٢ ، منشورات جامعية ، دمشق ، ١٩٩٩ ، ص ٣٠٥.
- [٤]- عبد الفتاح حسن أبو علية ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ عبد العزيز سليمان نوار ، محمود محمد جمال الدين ، التاريخ الأوربي من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٧ .
- [٥]- عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل أحمد ياغي ، المصدر السابق ، ص ٢٧.
- [٦]- شوقي الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٣ .
- [٧]- عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل أحمد ياغي ، المصدر السابق ، ص ١٤ – ١٦.
- [٨]- عبد العظيم رمضان ، تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة ، ج ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، ص ٥.
- [٩]- نعيم فرح ، المصدر السابق ، ص ٣٦٦ .
- *- **دانتي** (١٢٦٥ – ١٣٢١) : وهو دانتي اليغييري ويعرف عادة باسم دانتي ، فهو شاعر وفيلسوف إيطالي عاش خلال القرون الوسطى من فلورنسا ولد في عائلة لها باعٌ طويل في الانخراط في المشهد السياسي المعقد لمدينة فلورنسا وقد أنعكس هذا الأمر في فصل الجحيم الذي ألفه لاحقاً ويعتبر مؤسس الأدب الإيطالي الحديث وتزوج بعمر (١٢) عاماً ولكنه لم يستمر هذا الزواج إذ سرعان ما تزوج عام (١٢٩٠) من فتاة تدعى بياتريش بورتيناي والتي كان يحبها كثيراً فكانت صاحبة تأثير كبير علية وسرعان ما شكلت شخصيتها أساس ملحمة الكوميديا الإلهية المكونة من ثلاثة أقسام وهي الجحيم ، المظهر ، الفردوس التي عدت من أعظم الأعمال الأدبية الإيطالية على مر التاريخ ، وبعد وفاتها بدأ دانتي الانغماس في دراسة الفلسفة والمكائد التي كانت تُحاك في المشهد السياسي لمدينة فلورنسا ، للمزيد ينظر ، من هو دورانتي

ديغلي اليغيري منشور على شبكة الإنترنت الدولية على الموقع ، https://www.arageek.com/bio/dante-alighieri .

*- **بيتريس بورتيناري** (١٢٦٥ - ١٢٩٠) هي بياتريس بيس يدي فولكو بورتيناري ، وهي امرأة ابنة عائلة فلورنسية نبيلة إيطالية اشتهرت بأنها الملهمة الرئيسية لدانتي اليغيري والتي كا يعشقها وأنها هي نفسها شخصية بياتاريس التي ظهرت كأحد مرشديه في الملحمة الإلهية في آخر كتبه (الجنه) وفي الأنشودة الرباعية الأخيرة بورغا توريو وحسب دانتي فقد التقى بها لأول مره عندما أخذه والده في زيارة لبيتهم لحضور حفل عيد العمال ومن تلك الزيارة فقد وقع بحبها على من أعمارهم الصغيرة التي لم تتجاوز التسعة أعوام وظل على حبه طوال حياته حتى بعد زواجها من رجل آخر وهو المصرفي سيمون دي باردي ، ومن ذلك الحين حافظ على حبه العميق واحترامه لبياتريس لا بل كرس معظم شعره وكل حياته للكتابة عن حبه لها ، وتوفيت عن عمر يناهز ٢٤ عامًا عام ١٢٩٠ وبعد وفاتها ركز دانتى على الدراسة الموسعة وبدأ في تأليف القصائد المكرسة لذكراها وحبه لها ، للمزيد ينظر Beatrice |Italian noble Encyclopedia Britannica - / بياتريس نبيل إيطالي الألقاب البديله : بياتريس بورتيناري نشر بواسطة محرري الموسوعة البريطانية ، بحث باللغة الإنكليزية منشور على شبكة الإنترنت الدولية على الموقع ، https://www.britannica.com/biography/Beatrice-Italian-noble .

- *- **روجر بيكون** (١٢١٤-١٢٩٢) : أحد كبار مفكري العصور الوسطى ، انكليزي المولد والنشأة ، كان فيلسوفاً وراهباً فرانسيسكياً وهو الذي وضع التأكيد على التجربة ويشكر أحياناً على إنجازه كأول أوربي يضع قوانين المنهج العلمي ، فضلاً عن كونه رائد العلم التجريبي الحديث ، والمنظر الأيديولوجي لحريفي المدن في عصره ، وطرد عام ١٢٧٧ من سلك التدريس في جامعة أكسفورد بسبب فلسفته المادية بصورة عامة ،وقد احتجزته الكنيسة ، في أحد الأديرة ، قال أن التجربة والرياضيات هما وسيلتنا إلى المعرفة ، وأن الهدف من وراء كل معرفة هو زيادة اللإنسان على الطبيعة ، للمزيد ينظر : ندوى محمد محمد شريف ، المنهج التجريبي في فكر فلاسفة العلم (روجر

بيكون و فرانسيس بيكون) بحث منشور في جامعة كرميان ، كلية اللغات والعلوم الإنسانية ، قسم علم النفس ، ص ١- ٢٢ .

- [١٠]- عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل أحمد ياغي ، المصدر السابق ، ص ١٩ -٢٠.
- [١١]- هاشم صالح التكريتي ، مدخل إلى التنوير الأوربي ، ط ١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ورابطة العقلانيين العرب ، بيروت ، ، ٢٠٠٥ ، ص ١٦٧ .
- [١٢]- رونالد سترومبرج ، تاريخ الفكر الأوربي الحديث ١٦٠١ – ١٩٧٧ ، ط ٣ ، ترجمة أحمد الشيباني ، دار القارئ العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٦٩١ .
- *- غوتنبيرغ (١٣٩٨ – ١٤٦٨): هو يوهان غنزفلايش تسر لادن غوتنبرغ ، ولد في مدينة ماينتس الألمانية ، مخترع أستطاع عام ١٤٦٨ أن يطور قوالب الحروف التي توضع بجوار بعضها البعض ثم يوضع فوقها الورق ثم يضغط عليه فتكون مطبوعة ، يعرف يوهان غوتنبرغ عموماً بأنه أول الأوربيين الرواد في فن الطباعة بالحروف المتحركة وكان سبق للصينيين أن ابتكروا قبل قرون قبل قرون مثل هذه الطباعة ولكن اختراعهم هذا لم يبلغ قط أوربا على ما في ذلك من غرابه ، للمزيد ينظر : حسن أحمد جغام . حياة عباقرة العلم يوجنا غوتنبرغ مخترع الطباعة ، ج١ ، ط١ ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة – تونس ، د.ت .
- [١٣]- مفيد الجزائري ، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر عصر النهضة ١٥٠٠ – ١٧٨٩ ، ج٢ ، ط ٣ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ٢٠٠٩ ، ص ٤٤٧ – ٤٦٧ .
- [١٤]- الكالفينية :هي مذهب مسيحي بروتستانتي يعزى تأسيسه للمصلح الفرنسي جون كالفن ، وضع بين عامي ١٥٣٦م و ١٥٥٩ مؤلفه (مبادئ الإيمان المسيحي) والذي يعتبره الكثيرين من أهم ما كُتب في الحركة البروتستانتية. للمزيد ينظر : ناجي محمد الهتاش ،عبد الخالق شامل محمد ، أثر العامل الديني في التفكير الإستراتيجي الأمريكي ، بحث منشور ، مجلة تكريت للعلوم السياسية ، مج٢ ، السنة ٢ ، العدد ٢ ، آذار ٢٠١٥ ، ص ١١ – ١٤ .

- [١٥]– من هو بيير بايل ، مقال منشور على شبكة الإنترنت الدولية على الموقع ، https://www.facebook.com/151883992429000/posts/42744431/4872965/
- [١٦]– مرسوم نانت : هو ذلك المرسوم الذي صدر عام ١٥٩٨ وبموجبه فقد أعطى للبروتستانت في فرنسا حرية العقيدة والعبادة ولذا فقد أعتبر أحد الوثائق المهمة التي تؤشر عصر النهضة واحترام حقوق الإنسان إضافة إلى ما تقدم ذكره من أفكار وأراء تجعل من الإنسان محور اهتمام الفكر الأوربي آنذاك ، للمزيد ينظر : فيصل شلال عباس ، مبادئ ومفاهيم حقوق الإنسان والديمقراطية والحرية ، جامعة بغداد ، كلية التربية للعلوم الصرفة – أبن الهيثم ، ٢٠١٩ – ٢٠٢٠ ، ص ٢١ .
- [١٧]– من هو بيير بايل ، مقال منشور على شبكة الإنترنت الدولية على الموقع ، https://www.facebook.com/151883992429000/posts/42744431/4872i 965/
- [١٨]– المصدر نفسه .
- [١٩]– من هو بيير بايل ، مقال منشور على شبكة الإنترنت الدولية على الموقع ، https://www.facebook.com/151883992429000/posts/42744431/4872965/
- *– انسكلوبيديا : هي موسوعة عامة أو قاموس مرشد للعلوم والفنون والمهن نُشرت في فرنسا ما بين عامي ١٧٥١ و ١٧٧٢ وتلتها ملاحق وتصحيحات وترجمات عديدة كتبها كتاب موسوعيين ونشرها دنيس ديدرو وساعده جون لو رون دالمبير ، وعدد أجزائها (٢٨) مجلداً وتحتوي على (٧٤٠٠٠) مقالة ، للمزيد ينظر ، أسكلوبيديا معلومات منشورة على شبكة الانترنت الدولية على الموقع https://areq.net/m/.htm .
- [٢٠]– رونالد سترومبرج ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ – ١٥٠ .
- *– جون لوك (١٧٣٢–١٨٠٤): فيلسوف مادي انكليزي ينتمي إلى أسرة من المتطهرين الطبقة الوسطى رفض المذهب الديكارتي في الأفكار الفطرية ، واستنبط نظرية التجريبية المادية ، وقد قال أن الخبرة هي المصدر الوحيد لكل الأفكار ، وقال

أيضاً أن الأفكار تخرج الوجود ، إما بتأثير الموضوعات الخارجية على الحواس "أفكار الإحساس" أو عن طريق توجيه الانتباه إلى حالة النفس ونشاطها "فكرة التأمل" لعب دوراً مهماً في الحياة الانكليزية لقوة قلمه وذيوع كتاباته وشدة تأثيرها في النفوس فضلاً عن ما أمتاز به من نشاط جم ومقدرة فائقة في توجيه السياسة وتشكيلها ، له عدة مؤلفات في الطب والسياسة والفلسفة والتربية والدين والمعرفة ، ولعل من أهمها كتابه الذي حمل عنوان مقالة في الفهم البشري عام ١٦٩٠ والذي أفتتح من خلاله عصراً جديداً في مجال نظرية المعرفة ، للمزيد ينظر ، بشار مالك سليمان ، فلسفة جون لوك وأبعادها التربوية دراسة وصفية تحليلية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، مقدمة إلى كلية التربية ، جامعة دمشق ، ٢٠١٥ ، ص ٢٧ – ٢٩ .

- [٢١]– محسن وحي ، حرية الضمير عند بيير بايل ، موقع الحوار المتمدن ، العدد ٦٧٤٦ ، تشرين الثاني ٢٠٢٠ .
- [٢٢]– المصدر نفسه .
- [٢٣]– محسن وحي ، حرية الضمير عند بيير بايل ، موقع الحوار المتمدن ، العدد ٦٧٤٦ ، تشرين الثاني ٢٠٢٠ .
- *– **بوسية** (١٦٢٧ – ١٧٠٤) : جاك بينين بوسية ولد في أسره ثرية بارزة والده محام بارز وعضو برلمان ديجون بعد اكمال ولده دراسته أصبح رجل دين وخطيب فرنسي أكتسب جاك بينين بوسية شهرة عريضة كواعظ وكخطيب شعبي أستغل الاستياء الاجتماعي وكان أكليركياً واسع العلم والإطلاع وأصبح مربياً وأستاذاً خاصاً لأبن الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا وأسقفاً على مو أو ميوكس للمزيد ينظر : معلومات عن جاك بينين بوسية منشورة على شبكة الانترنت الدولية على الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki .
- *– **باروخ سبينوزا**(١٦٣٢ – ١٦٧٧) ولد في أمستردام من عائلة برتغالية من أصل يهودي وكانت عائلته متوسطة وبارزة في أوساط الجالية اليهودية – البرتغالية كان أحد التلاميذ اللامعين في دراسة التلمود توراة الخاصة بالجالية وقد ظهرت علامات تفوقه ونبوغه منذ صغره وقد أكتشف ذلك الحاخامات اليهود ، أجبر على ترك الدراسة في سن السابعة عشر من العمر للمساعدة في إدارة أعمالة الاستيراد الخاصة بعائلته وفي

عام ١٦٥٦ فرض على باروخ أُقسى أنواع الحرمان اليهودي (الطرد أو النبذ) الأمر الـــــــذي أدى إلى مفارقته لطائفته وترك اليهودية فغادر امستردام وأقام في راينسبورج عام ١٦٦١ وهناك كتب رسالة في تهذيب العقل ، ثم رسالة قصيرة عن الله والإنسان وصلاحه في الحياة ، ثم أصدر تحفته الفلسفية وهي الأخلاق ، ولذا فقد عد من أهم فلاسفة القرن السابع عشر وخط لنفسه نهجاً فلسفياً يعتبر أن الخير الأسمى يكون في "فرح المعرفة" أي في اتحاد الروح بالطبيعة الكاملة ، نشرت أعمالة كاملة بعد وفاته من قبل أحد أصدقائه عام ١٦٧٧ ، للمزيد ينظر : Zoran Vukadinovic ، spinoza- philosophy-entrance-science-relevance ، ترجمة ، ولاء كاشف ، بحث منشـــور علـــى شـــبكة الانترنـــت الدوليـــة علـــى موقـــع إضـــاءات https://www.ida2at.com/spinoza-philosophy-entrance-science-relevance .

- *- فونتينللي (١٦٢١ – ١٦٩٥): هو جان دي لافونتين ينحدر من عائلة فرنسية بسيطة والده كان مسؤولاً عن حماية الغابات والممتلكات الحكومية في دوقية شاتوتيري ووالدته هي فرانسوا بيدرو بعد اكمال دراسته الثانوية التحق عام ١٦٤١ بالأبرشية ومن ثم درس اللاهوت رغبة منه في أن يصبح راهباً ، بدأت موهبته الأدبية بعد أن أطلع على أعمال الشاعر الفرنسي الكبير ماليرب فبدأ بكتابة القصيدة القصيرة وسرعان ما أصبح شاعراً وكاتب مسرحي كبير ويعد من واجداً من أهم وأبرز الشعراء الفرنسيين أشتهر بأسلوبه الخيالي والخرافي في القصص والتي جعل فيها الحيوان يرشد الإنسان ، للمزيد ينظر : جان دو لافونتين ، قصة حياة كاتب القصص الخرافية الفرنسي الكبير ، منشـــورة علـــى شـــبكة الانترنـــت الدوليـــة علـــى الموقـــع ، https://nojomy.com/writers .
- [٢٤]- رونالد سترومبرج ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .
- *- بيرو الأليسي (٣٦٥ – ٢٧٥): فيلسوف يوناني ويعتبر مؤسس مذهب الشك الذي نُسب إلية فُعرف بـ البيرووية وهي مدرسة الفلسفة الشرقية أشتهر بأنه أول فيلسوف شك

اغريقي ملهم المدرسة الفلسفية التي انشئها أنيسيديموس في القرن الميلادي الأول ، للمزيد ينظر، https://ar.wikipedia.org/wiki .

- [٢٥]– عماد الدين الجبوري ، رحلة في مذهب الشك ، بحث منشور على شبكة الانترنت الدولية على موقع ، www.independentarabia.com
- [٢٦]– مذهب الشك ، بحث منشور ضمن منشورات مركز التأصيل والدراسات والبحوث ، على شبكة الانترنت الدولية على الموقع https://www.facebook.com/taseel/posts.
- [٢٧]– عبد الحميد الصالح ، الشكية الريبية ، بحث منشور على شبكة الانترنت الدولية على الموقع ، www arab-ency.com
- [٢٨]– أنتوني ماكينا ، بيير بايل حرية الضمير وحرية الاعتقاد ، ترجمة فريد أبي بكر ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، الرباط ، المملكة المغربية ، ٢٠٢٠ ، ص ٨ – ١٨ .
- [٢٩]– جعفر حسن الشكرجي ، النزعة الشكية عند بيير بيل قراءه في فلسفته الدينية ، بحث منشور على شبكة الانترنت الدولية ، https://istighrab.iicss.iqfilegations ، مجلة الاستغراب ، د. ع ، ٢٠١٦.
- [٣٠]– تأثير فلسفة بايل ، بحث منشور على شبكة الانترنت الدولية على الموقع ، https://e3arabi.com .
- [٣١]– رونالد سترومبرج ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
- [٣٢]– رونالد سترومبرج ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ – ١٥٠.

[٣٣]– المصدر نفسه ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

* لويس الرابع عشر(١٦٣٨ – ١٧١٥) هو ملك فرنسا من عام ١٦٦١ إلى عام ١٧١٥ ولد في شاتو دو سان جيرمان – أون لي الفرنسية والده لويس الثالث عشر ظل لثلاث وعشرين عام بدون أطفال لذا صور لويس الرابع كهبة من الله ولذا سرعان ما عين لاحقاً دوفين أي ولي العهد في فرنسا وقد تعهد الكاردينال مازاران بتربيته بعد وفاة والدة وتركزت على تثقيفه ثقافة عامة فتعلم اللاتينية والأسبانية والإيطالية فضلاً عن اتقانه للفرنسية ، وسرعان ما أصبح أحد أبرز ملوك البربون تولى الحكم بسن الخامسة من العمر إلا أنه لم يكن يملك السيطرة

الفعلية حتى وفاة رئيس الوزراء الكاردنيال مازارين عام ١٦٦١ ولقب بالملك الشمس وذلك لاهتمامه بالأدب والفن وهو الذي قام ببناء قصر فرساي في فرنسا ، عد من الشخصيات التي شغلت المؤرخين من دون أن يتوصلوا إلى أعطاء صورة أكيدة ونهائية عنه طبع لويس الرابع فرنسا بطابعه إلى حد لا نستطيع تصور تاريخ فرنسا من دونه كان المجد والبؤس اللذان ترافقا خلال حكمه قد جعلا المؤرخين ينقسمون بين مادح وقادح ، حكم فرنسا اربعة وخمسين عاماً تحت شعار بالعمل نحكم واستطاع بحكمه الطويل أن يأخذ مع عدد قليل من الوزراء القرارات الأكثر أهمية في مرحلة حكمه والتي لها قوة القانون بسبب الملكية المُطلقة ، ازدهرت في عهد لويس الرابع عشر الحضارة الفرنسية في ميادين العلوم والآداب والفن ، أما على صعيد السياسة الخارجية أنهت فرنسا حالة السلام مع اسبانيا وعادت الحرب بين الدولتين من جديد عام ١٦٦٧ ولم تعرف الاسباب التي ادت إلى الحرب فبين من يقول أن سبب الحرب هو الخلاف حول مسألة الحدود وآخرين يذكرون مطالبات بوراثة العرش بين اسبانيا وفرنسا بين العائلتين المالكتين وبالرغم من كل اهتماماته الكثيرة بتحسين الاوضاع لفرنسا ولكن التاريخ حفظ عن لويس الرابع عشر صورة الملك المُستبد المطلق والذي أطلق جملته الشهيرة الدولة أنا ، توفي في قصر فرساي بعد أصابته بمرض الغرغرينيا ، للمزيد ينظر عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج ٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٥٣١ – ٥٣٥ .

[٣٤]– رونالد سترومبرج ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

[٣٥]– فرانكلين – ل – باومر ، الفكر الأوربي الحديث في القرن السابع عشر الإتصال والتغيير في الأفكار ١٦٠٠ – ١٩٥٠ ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٣٦ .